ناصر قنديل

بالتحدّث عن الفشل السعوديّ الذريع في اليمن وسورية ومحاولة لملمة الخسارات، نبدأ حديث الجمعة «مختصراً مفيداً». ومن الصباحات لمن يعرفون الصباح ومكانته، والرياضيات حين تعبث بالكلام، والحبّ وتبادل الأدوار في «قالت له»، ننتقل إلى المشارَكات شعراً ونثراً، من أصدقاء وصديقات لصفحة «حديث الجمعة»، تحلّ كلماتهم ضيفةً عزيزةً كلّ أسبوع.

مختصر مفيد *

اليمن... الجرح الأخير والخياطة الأولى!

● الموقع المفصلي للسعودية في أزمات المنطقة حفاظاً على دور فات، وبات من الماضي مع متغيّرات لا يمكن أن تعود بها عقارب الساعة إلى الوراء أهمها تصاعد مكانة إيران، وتقادم عناصر قوّتها من جهة، وتحوّل روسيا بتموضعها العسكري الاستراتيجي في سورية إلى لاعب إقليميّ حاسم، إضافة إلى صفتها كقوّة دولية عظمى وتتعاظم من جهة أخرى. ومن جهة ثالثة استحضار الغرب للحرب على الإرهاب كأولوية تجعله أقرب بمنطق الشراكة المصلحية لخصوم السعودية في المنطقة الأشدّ صدقية وفعالية منها في توفير مقتضيات هذه الحرب. وأخيراً، تراجع عام يصيب الحلفاء الذين يعيشون وضعاً مشابهاً للحال السعودية في مواجهة الخصوم أنفسهم، خصوصاً حال التراجع في مصادر القوة لكلّ من تركيا و«إسرائيل».

● من موقع هذه الصفة للسعودية التي كانت عنوان الزمن العربيّ خلال نصف قرن يتثاءب منذ ما بعد حرب 1967، وغياب مرجعية استراتيجية بديلة لزعامة جمال عبد الناصر، الذي ذهبت مصر بغيابه إلى الحضن السعودي، وصارت السعودية ومصر شريكين حكميين لسورية حافظ الأسد في حرب 1973، ومصدر التآمر على الحرب وأهدافها، ومن رحم الحرب استيلاد «كامب ديفيد» التي التحقت بها السعودية مؤخراً من بوابة جزيرتَي صنافير وتيران، لتمتد هذه الحقبة بصناعة السياسة في الشرق الأوسط. وها هي تواجه اليوم عواصف تنذر بالضمور حيناً والأفول أحياناً. ومن هذا الموقع تعيش السعودية حالة إنكار تتمثل بالسعي الهيستيري إلى استعادة العافية واصطناع مصادر القوة. كانت حرب اليمن أبرز تعابيرها.

● بالتزامن والتوازي مع حرب اليمن، كانت المداخلة السعودية في الحرب على سورية تتصاعد، وتشكّل مصدر مقاربتها لأزمات المنطقة وتوازناتها. فمنها تقيس السعودية مستقبل دور خصمين لدودين، ومصير حليفين ودودين. فمصير ومستقبل القوة لكل من إيران وحزب الله من جهة، و«إسرائيل» وتركيا من جهة مقابلة يتقرّر في هذه الحرب. بينما الكابوس الدائم يبقى في عودة التعافي إلى سورية وعودتها إلى الساحة الإقليمية لاعباً حاسماً مزوّداً بقوّة نصر يصعب ضبط مفاعيل القوة التي يمنحها للرئيس السوري في صناعة السياسة العربية بعدها. فكانت حرب اليمن حرب الحروب. فهي خطّ الدفاع عن الحديقة الخلفية، وهي حرب تقديم الإثبات على القدرة على تغيير التوازنات التي صنعت وتصنع الانخراط الأميركي في صناعة التسويات. وهي في الوقت نفسه حرب الرسائل بالنار لصناعة التحالفات وقيادتها في الإقليم الذي تصاغ خرائطه مجدّداً.

● من الفشل في حرب اليمن والانخراط السعودي في الهدنة، وصولاً إلى التفاوض قبلها وبعدها، وانطلاق مفاوضات الكويت، تكون السعودية رغم الإنكار قد استسلمت لقدر التوازنات الجديدة. وزيارة الرئيس الأميركي باراك أوباما ليست للتشجيع على التفاوض، بل للحصول على توقيع الشاهد الملك على وثيقة التحوّل والتموضع. فأول الجروح يخاط أخيراً، لكن آخرها هو الخياطة الأولى، وهذا هو اليمن.

ناصر قنديل

*ينشر هذا المقال بالتزامن مع الزميلتين «الشروق» التونسية و«الثورة» السورية.

صباحات

● عبق ياسمين وحبق حنين وشوق دفين... شام التاريخ والجغرافيا عشق السنين... صباح الخير.

● من ينتظر طلوع الشمس يبقى ينتظر شعاعاً بعينه يضيء في عينه، يتحقق منه وحده أنه طلوع الصباح، لينام بأمان. وكثيراً ما لا يشهد الشعاع الذي ينتظر، فيتابع الانتظار وينتصف عليه النهار. وهو في الانتظار ولا يكون عنده قد طلع الصباح... بانتظار صباح جديد، غالباً ما تكون انتظاراتنا لأمور في دواخلنا تحرّكها أشياء تحدث خارجنا، لكنها لا تفعل الشيء نفسه كلّ مرّة، لأننا ننتظر الفرح ومفتاح الفرح العظيم صبر عظيم... والشعاع الذي ننتظر آت لا محالة. المهم ألا يكون بين المنتظرين من غالبه النعاس أو شاغله اليأس فانصرف وضاعت عليه تلك اللحظة المشهودة الآتية حتماً.

● الوقت هو عمرنا، وبه نقيس الرجاء فنقول سفر ساعة لنختصر مرارة طول المسافات. وهكذا قال الرسول لعمّه حمزة: بينك وبين الجنة مسافة حبة تمر. ونقول النصر صبر ساعة.

● نرى الجمال بقلوبنا ونظنه بعيوننا، وكثيراً ما نهزأ من أذواق الغير ويهزأون من أذواقنا. ومرّات نهزأ نحن مما كانت عليه اختياراتنا. ومرّات نمارس تفنّن الانتقاء ونظنّها اختياراتنا الأفضل. لكننا في النهاية نحسّ الجمال ولا نراه. ومَن يراه هم الآخرون، وأسوأ العادات أن نرتضي النظر بعيونهم ونبحث عن إرضائهم فنتخيل أقوالهم ونعلّمها لشفاهنا، فنحيا بقلق دائم ولا نعرف صحة الاختيارات. وتضيع سفينتنا في بحر العمر ونحن نتقلب على جمر ما سيقوله الناس عن أشياء وحدنا من سيدفع ثمنها، ومن سيلقى عائداتها، لأننا ضعفاء أمام أكذوبة التباهي والمقارنات بمقاييس الغير، والغير يقارن بمقاييسنا، ولا أحد يخلص لذاته ويدور الوهم ولا يصير حقيقة. لهذا، تغزو الابتسامة الصفراء وجوه الناس في ادّعاء الفرح.

● الحبّ شعور بالرضا على مدار الزمن. لكن ما يعرفه كثيرون من الناس ويسمّونه حبّاً، ليس مضرّاً إذا اجتمع بالحبّ، وهو شعور بالرغبة أو بالإعجاب وحبّ الاقتناء طلباً للتباهي. فالمقياس هو ماذا يقول الناس ومنه يتولّد ما نظنّه الإحساس. أما الشعور بالرضا، فهو ما بعد مرحلة كلام الناس وزمن التباهي والمقارنة والقياس. وعندما تستقر المياه في وعائها، يقع الكثيرون في اليأس ويقارنون سقف توقعاتهم بواقعهم، لأنهم بنوا قصوراً لأحلامهم لا تشبه خياراتهم، بل تستوحي السعادة من مقاييس لا تتصل بالقرب والجوار والتكرار والسلوك والحوار، بل بالصفات المعلنة والمظاهر المتقنة والألقاب والمناصب والشكل والهندام. لهذا، كان الحبّ نصفاً من الخارج ونصفاً من الداخل، وما يأتي من نصف الخارج قد يكتسب أو يتغير، وهو ما يمنح الحبّ قوة اجتماعية وله مكانه. لكنه ليس أصل فرح الحبّ والسعادة. أما نصف الداخل فهو الثابت الذي لا يتغيّر، ووحده الذي يمنح الرضا. فلماذا يفعل غالبية الناس العكس في خياراتهم؟

● تنشأ بين رموز الكلام والناس علاقات غامضة لا يقدرون على تفسيرها في تقاطعات التلقّي والتفاعل، كما بين تقاطعات الزمان والمكان بأناس لا نعرفهم أثناء مرورنا. فتنشأ الحماسة لدقة المواعيد، ليس بداعي الأمور الأصلية لأسباب المرور بل لأننا ننتظر استعادة شعور تلك اللحظة الغامضة التي مرّت بتقاطع غير مقصود. وغالباً نقدّر معناها بعد الرحيل. اللحظة التي نقبض عليها هي اختبار إرادة صنع القرار في الحبّ والحرب، وكل ما فيه اختيار وداؤه انتظار.

● تصيب متلازمة امرئ القيس كلّ العاشقين، فيشعرون بتبدّل علاقتهم بالنوم والضوء وتختصر قدرتهم على النوم ساعات طوال، ويملكون شعوراً بالنشاط والرضا. ولكنهم عندما يصابون بداء الشكوى والتذمّر، يكون الحال مع الحبّ مختلفاً. فمتى زاد حديثهم عن القناعة كانوا في حالة حبّ حقيقيّ، ومتى زاد حديثهم عن الطموح كانوا يغادرون حبّاً حقيقياً، ومتى زاد حديثهم عن الصداقة كانوا يخفون حبّاً عميقاً، ومتى زاد حديثهم عن الكرامة كانوا في حبّ من طرف واحد، ومتى زاد حديثهم عن الحرية كانوا يقدّرون حبّاً من طرف واحد، ومتى ظهرت الابتسامة مع التذمّر كانوا يسيطرون على الأوضاع. أما متى كان القلق والتوتر فهم في حالة ضعف مهما كابروا وأظهروا الاستخفاف والمقدرة، فتأتي ابتساماتهم مجاملة.

رياضيات في الكلام

● تجتاز المسافة ذاتها بفارق أضعاف من الوقت بين ارتقاء القمة والتدحرج منها. وغالباً ما يكون السقوط مدوياً. تحدث معنا في كيف تُبنى الأشياء ببطء وكيف تُهدَم فجأة وبلا إنذار السقوط، وغالبا لا تترك الأثر الذي كنّا نخشاه بزوالها.

● الطريق بين العقل والقلب سالكة في الاتجاهين، لكنها بطيئة وثابتة من العقل نحو القلب، وسريعة ومتقلبة من القلب إلى العقل. وأحياناً تكون الطريق مقفلة بالضوء الأحمر، فيهوى القلب ويتلوّى والعقل متحجّراً عند العلامة اللاغية. الأفضل أن نقتنع لنحبّ. فالحبّ الكبير يبدأ صغيراً ويكبر ويقع كثيراً وينهض مهما تعثّر.

قالت له

قالت له: أيمكننا ليوم واحد أن نتبادل الأدوار، فتتولّى أنت الاحتجاج، واقوم أنا بزرع الابتسامة والتفاؤل؟

فقال لها: تبادل الأدوار يفترض التزاما بأن يضع أحدنا نفسه مكان الآخر في لحظات الاحتجاج والابتسامة، لأن أصلهما في أين يقف أحدنا عندما يخاطب الآخر، وما هو الموضوع الذي يثير الاحتجاج ويقابَل بالابتسامة. فهل حاول أحدنا يوماً أن يسأل نفسه ماذا لو كنتُ أنا قبل أن يسأل أو يرفع صوت الاحتجاج؟ لأننا عندئذ فقط سنختزل العتاب بابتسامة نضحك لها كثيراً كلٌ في سرّه، ويختفي مبرّر السؤال. فكم من أمر يغضبنا في الغير ولا يرفّ لنا جفنٌ معه تجاه أنفسنا؟ وكم من حقّ نمارسه بصلفٍ، ونطالب الغير بالتخلّي عنه أو لا نلاحظ حتى تسامحه فيه؟

فقالت له: المشكلة أنك تحيا بالذاكرة الواعظة حتى في أشدّ لحظات الشغف، وتعتبرها مشاغبة لطيفة أو فرصة لإثبات التفوّق. فحروبك دائماً يجب أن تكون منتصرة، وقد ظننت كلامي ينقلك عن صهوة فرس الحرب إلى صهوة فرس الحبّ.

فقال لها: وهل تظنين الحبّ غير حرب بلا دماء نتعارك فيها حتى في لحظاتنا الحمية على قطاف رحيق بعضنا من البعض الآخر؟ فمن يكون النحلة ومن يكون الزهرة في عراك ودّي أو صداقة لدودة؟ لا تتهيبي لغة الاشتباك وتسجيل النقاط، لأنها بعض من لعبة الحبّ. فهي حرب على الورق كلعبة شطرنج أو مبارة ودّية بين فريقين.

فقالت: ولكنني طمحت لأن تكون مرّة بلا تسجيل أشواط سابقة، وترصيد حساب أرباح وخسائر، لكنك لا تفرح إلا بلحظة نشوة انتصارك كفارس لا يضاهى. ولا يحزنني إلا الشعور بكوني مسرحاً دائماً لاختباراتك الباردة في القدرة على التفوّق. فقال لها: ها نحن نفشل في التبادل الذي كان عرضك الأول. فقد حاولت أن أصنع الاحتجاج نزولاً عند عرضك، ولكنك تفشلين مرّة أخرى في تلبية متطلبات عرضك، بأن تزرعي التفاؤل والابتسامة.

فابتسمت وشهقت بآهٍ متسائلة: إذن، كنت قد بدأت اللعبة؟

فقال: بلى

فقالت: وأنا وقعت في فخّ نصبته لنفسي، ولم أنتبه؟

فقال: الطبع يغلب التطبّع.

فقالت: ابتسم، أنت في لعبتي طفل صغير.

فقال: وأنا سأحتجّ على الطفولة.

وتعانقا بضحكة مدوية، ومضيا على رصيف الحياة يتسكعان!

نقطة عَ السطر

بظل ضبابية المشهد، كيف ممكن تعرف شو مخبّي بكرا؟ ما في شي يقيني. بس يللي أنا متأكد منه، إنه مستقبلنا دامي بمقدار هذه الدماء التي تسيل. القصة لا تتعلّق فقط بكلّ هذا الدمار، ولا بكلّ ذلك الخراب الذي ينعق فيه الموت. ولا بكل تلك الأرواح المعذبة سواء تلك التي رحلت أو تلك التي لا تزال مصلوبة بين الموت والحياة. الأكثر ألماً، هو تاريخ من الكذب عشناه وأحببناه وأصبح جزءاً من ذاكرتنا. وفجأةً أصبح وجع الذاكرة، بكاءها، أنينها... كذبة «الوطن العربي الواحد»! كذبة الجرح العربي الواحد، كذبة اللغة المشتركة، ووو...

في الماضي، كنّا نفتخر حتى بنكسة حزيران 1967، باعتبار فلسطين هي جرح كلّ العرب. كنّا نحتفل بانتصار التضامن العربي في حرب تشرين 1973 كرمز لاستعادة الكرامة العربية. أخبرني ماذا سيخبر أبنائي أبناءهم في المستقبل؟ عن ليبيا التي قصفت بمباركة عربية؟ عن سورية التي طعنت بأيد عربية؟ عن اليمن الذي ما عاد سعيداً، عن تونس التي أصبحت حمراء، عن الصومال الجائع، عن السودان المنهوب، عن العراق المنكوب، عن مصر الثكلى وفلسطين التي أضحت مغتصبة ومغصوبة.

المشكلة يا صديقي أننا اليوم فقدنا الهوية العربية، واكتشفنا في صحوة كابوس أن الأمة ليست عربية!

منى عبد الكريم

لكلّ داءٍ دواء

في الأجواء الملبّدة بغيوم الفساد وسحب الفضائح وتدهور الأخلاق، في عالم يتّسم بالمصالح، بتنا نكتوي بنيران غياب الثقة التي أصبحت عملة صعبة وكفاءة نادرة يسعى إليها الأفراد والمؤسسات وحتى البلدان.

ما بين ثقة عمياء توقعنا في فخ الغدر والخيانة، وما بين عالم تعوزه الثقة يحرمنا من السعادة والإنجاز، حلّ وسط يمنحنا القدرة على التعقل بتحليل ما يتوارد إلينا من أفكار وآراء وأخبار لنؤكد الصدق من عدمه.

دواء قد يبعد عنّا الشكوك والهواجس، يفترض حُسن النيّة بالطرف الآخر بالتركيز على جوانبه المشرقة بحذر ودونما إهمال عيوبه، وسيلة تبث الطاقة تستثمر التجدّد والإبداع وتحقق النجاح.

بالثقة الواعية حلّ لأصعب معادلة من معادلات الحياة.

ريم شيخ حمدان

ورد وشوك

جرحوا وردك يا وطني، فسال دماً غلغل في ترابك، وعبق أريجا في الفضاء. أطلقوا على أنفسهم اسم «معارضة معتدلة» بعدما نهبوا معظم خيراتك، وروّجوا لكلّ أشكال الإرهاب. ألفوا الخيانة ولم يحسبوا لصمودنا حساباً، فكان ظلمهم أشدّ مضاضة.

الآن، استفاق الغرب بعد هذه السنوات على فداحة ما ارتكبوه من أخطاء، ولكن هيهات... هيهات!

ببساطة، وبعيداً عن عبارات السياسات الجافة، وبلغة الحبّ، وهو لك يا وطني فيّاض، سيبقى وردك شوكاً في عيون الأعداء، وسيبقى همّهم في تقسيمك مبدَّداً، ونصرنا بعون الله مجدَّداً، وسيبقى هناك منصفون للتاريخ يؤرّخون الصمود والاستبسال، في حرب قذرة لم يشهد لها التاريخ مثالاً.

رشا مارديني

من عشق الصباح

قالت: لا توجعني أكثر، بغيابك غفا الورد على الشبابيك انتظاراً. أنا بحاجة إلى الدفء يا زين الرجال. تذكّر كيف كنّا نخبّئ العشق في همسات الشمس للصباح في زقزقة العصافير وغيمات المطر. هات صبّ لي واسقني سلافاً من العشق المعتّق!

رنين الهاتف النقال أقلقها، كان صوته يهدر كشلال مطر في صباحات نيسان. أصوات الانفجارات من حوله تجعل السمع متقطّعاً.

قالت: أشتهي فنجان قهوة في الشرفة البحرية معك، كم أحتاج إليك! لم أعد أطيق الانتظار، إما تأتي أو أعطني عنوانك لأجيء إليك؟

ضحك علي، وعيناه ترقبان كلّ حركة، لن يسمح لهؤلاء المجرمين الوهابيين التكفيريين أن يدنّسوا تراب سورية المقدس!

يا إلهي كم أنت بهيّ، لم تزل ضحكتك حالمة!

قال: أعرف كم أنت مجنونة. أذكر يوم هربتِ من والديك ومزّق سياج الرمان قميصك البنفسجي، كي تلاقيني عند شاطئ البحر. كان يوماً ملأ عطرك الفضاءات وجاءت النوارس تحتفل بنا. أنا متأكد من جنوك يا جلنار، سآتي، انتظريني مع الفجر.

مست بغنج: لن أملّ الانتظار! إذاً، إما تأتي، أو أذهب إليك حيث أنت؟

قال بصوت باح: يبدو أنّ..!

حسن ابراهيم الناصر

حديث زبيدة

حتمية فشل جنيف، الانتقال الديمقراطي في سورية على طريقة رياض حجاب.

كان حجابه بحركاته البهلوانية وبخداعه للناس، مثل يوم تمثيلية ركوب التاكسي ثم حبس السائق لمخالفته تسعيرة العدّاد. مروراً بوزارة الزراعة التي منحته لقب «أبو بقرة»، على أساس أنه قام في بداية الأزمة - بوجود وسائل الإعلام - بجولات ميدانية ووزّع بقرة لكلّ فلاح فقير، حبراً على ورق. وضحك على عقول البسطاء، وحتى اليوم لم يستلم أحد شيئاً.

مروراً بمحافظ القنيطرة واللاذقية، وصولاً إلى رئاسة الوزراء، وكان يدقّ قاعدة السفينة التي ركبها وأمثاله من المرتزقة والخونة، بإسفين، وحاولوا أن يُغرقوا هذا الوطن، أملاً بالنجاة من الموت المحتم.

نهايته كانت في سباق الريح، على دراجة نارية. فرّ هارباً إلى درعا ومنها إلى الأردن بمساعدة الاستخبارات الغربية التي كانت تشرف على تدريب ما يسمّى «الجيش الحرّ» وتسليحه.

هروبه سرّع في كشف خيانة معلّمه السابق، السفير السوري في العراق العميد المنشق نواف الشيخ، ثم ما تبعه من انشقاقات في صفوف الفاسدين، من رياض نعسان آغا - وزير الثقافة، ووزير الزراعة أسعد مصطفى، والأخوين طلاس، والطفل المدلّل للخارجية جهاد مقدسي.

كلّ هؤلاء وأمثالهم، ممّن شغلهم جمع الأموال واقتناء السيارات وفتح الأرصدة في البنوك، ممّن لم يتركوا مكاناً لنا في وطننا عندما كانوا في السلطة، وسرقوا أحلام المواطن السوري وأمنه وأمانه. اليوم، ظنّوا أنهم انسحبوا من جنيف، وما زالوا يملكون مفاتيح اللعب بمصيرنا!

بينما الحقيقة تقول، إنّ سورية تمضي، وهذه «المعارضة» تعوي!

زبيدة القادري

متى؟

كلّما حاولت الاقتراب
زادت المسافات
وكبر حجم السراب
تشرذمت آلامي
وتفاقمت ألوان العذاب
أحبّك في الله حبّاً نقياً
صادقاً عذباً
وتحبّني لك وحدك
وتوصد في وجهي الأبواب
تسعى وراء المقارنات
وتبحث في الأسباب
وتطلق على المنطق والعقل
وهمَ كذاب
تتجاهل أجيالاً بيننا
وترفع في وجهي الحراب
بالله عليك متى ستكبر؟
متى ستدرك حقيقة الخطأ من الصواب؟

عبير فضّة

إلى رجل

تسلّلت إلى قلبي ذات صباح
سكنته مثل الدم والخضاب
زرعت فيه غراس الفرح
جنون الحياة ونسغ الشباب
تعلّقت فيك كطفل صغير
يخاف الوداع يخاف الغياب
وأنت حبيبي... حبيبي وأكثر
مساحة حبّ بالشوق تكبر
تعرّشت فوق جداري كزهر
وفي الغياب... حنينك أثمرْ
عيناك ليل... وبحر نجوم
وقلبي بعينيك... غاب وأبحر
يداك مرساة... وعشقك مينا
أرحت جنوني وتلك السفينة
جميع أعاصيري بين يديك
تصير زوابع... جدّاً صغيرة
أسلمتُ لتلك الروابي عشقي
وأسلَمَت لقلبك تلك الضفيرة!

توما عبّاس

أنا وأنت

قمر الليل والنسائم العبقة مرّت عليّ. لمرّة واحدة سمحت لنفسي بالانجراف بلا قلق أو اكتراث. خفيفةً كظلّ غيمة كنت. سار الوقت ببطء، لم يستعجلني فتخليّتُ له عن كلّ مخاوفي. نظرت إلى شوكة رأيتُ وردة. فجأة، أشرق الكون كلّه. ولمع في عينيّ السؤال: أحقاً إن كلّ من تحبّه يحبك؟ رتّبت أسراري، أعذاري وكثيراً من الأمنيات. حاولت الاتصال. كم من المخطّطات لا يتحقّق؟ وتبقى النوايا معلقةً غيباً بخيط من نور إلى السماء. يكفي أن نبتعد عمّن نحبّ لنعرف الفرق. دائماً أنا أبحث عنك بين الناس. كلّ شيء سوف يتغير. بدايةً نلتقي وتضجّ الحياة، ونهايةً نمشي على أرض مليئة بالسكاكين والأعداء. كان الفراق مخلصاً لكلينا. وحده النسيان خان، اختارك أنت وحدك.

رانيا الصوص